رسالة كاهن عن

البتولية

إلى أب راهب

رسالة كاهن عن

البتولية

إلى أب راهب

القمص يوسف اسعد

مقـدمـة

أشكرك يارب يسوع المسيح إبن الله الحى أنك ارتضيت أن تكون لى أبا ... بل دعوتنى أن أناديك « ياأبانا » . أشكرك من أجل هذا التنازل غير الموصوف وهذا التواضع الكلى أنك وضعتنى لا فى رتبة عبد ولا صديق بل إبنا محبوباً .

كما أشكرك من أجل أمومة الكنيسة عروسك لى . إذ فى كنفها منحتنى هبة الوجود فى أحضانها ، والتشرب بحبها لك ، والتعليم من خلال أسرارها وكل ممارسات حبها لك . وفى داخلها أربتنى حبك الحقيقى كأب حقيقى تتعب معى أنا المريض الضال وتوجدنى من خلال أبوة آباء الكنيسة لى .

أشكرك من أجل أبوتك ، ومن أجل أمومة الكنيسة عروسك لى .

فلتؤهلنى أن اشهد لك وأشرفك كإبن طيّع ، وأن أقدم حياتى كلها ذبيحة حب لك من خلال أمى الكنيسة فأعطيها حبى وصحتى ووقتى وما لى وكل ما وهبتنى أو تهبنى إياه . وكلى ثقة فى أبوتك أن تمنحنى رؤية صادقة للملكوت كل زمان غربتى فلا يخبو من أمام عينى لحظة بل يمنحنى جهاد أولادك الحقيقيين فلا أنخدع ببريق العالم الكاذب ولا حتى ببريق مركز كنسى أرضى مؤقت . فإذ قد منحتنى نعمة الخروج من الكل للإتحاد بك أيها الواحد الحقيقى وحدك أحرسنى من الضلال

وامنحنى فرح القفز على التلال فأعبر وديان سقطاتى وضعفاتى لا بحزن بل برجاء لا يخزى أنك لا تشاء موت الخاطى مثلما يرجع ويتوب . أمنحنى سراجا موقداً بتوبة العمر كله ، وفرحاً لا ينزعه منى أحد . وجهاداً لا يهدأ فى لحظات حنانك الإلهى الذى يستر الحروب عنى حتى ألتقط أنفاسى ... جهاداً أظل فيه بين يديك وبدى عروسك البهية مهما عصفت بى الأنواء .

ياحبيب الخطاة التائبين ، أجعلنى فى موضع حبك .

يامعين الساقطين المجاهدين ، أسكب فىّ طاعة إنجيلك .

يابهجة المكرسين الحقيقيين ، فرحنى دوماً بذبيحتك فىّ وملذبحك ..

ياعفة الأبكار البتوليين ، إسمعنى من أجل خاطر العذراء مريم أمك وأمى ...

يارب إرحمنى ، وارحم كل من يطلب رحمتك .
يارب إسمعنى ، واستمع كل صوت استغاثة يطلب تحننك .
يارب باركنى ، وبارك كل من يطلب بركتك . آمين .

الأب المبارك الراهب ... الانطونى

مبارك هو ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى فتح باب الملكوت أمامك ، ومبارك هو أبينا العظيم الأنبا انطونيوس الذى أستلمك من يد المسيح وأوجد لك مكاناً بين أولاده ...

مبارك هو قلبك البتول الذى صار مذوداً للحمل البتول إبن البتول . الذى لما أراد أن يجدد خليقته ويردها إلى الملكوت انتظر أمنا العذراء الذى أعطته كل عواطفها وكل كيانها الداخل حتى أمتلأت بحبه وحنانه وصارت غير محتاجة إلى حنان زوج أو عطف إنسان ... انتظر الرب هذا النموذج الشبعان بمحبته قبل أن يحل فى أحشائها ليكرم هذا النموذج العذراوى فى العاطفة والعقل والجسد معا ... ولما جاء الكلمة متجسداً مارأ برحمها البتولى لم يفض بتوليتها أيضاً ، لأنه يليق بالذى خلق آدم الأول من أرض بكر أن يأتى كآدم الثانى مولوداً من دم عذراء بكر وبتول ... على رأى القديس أغسطينوس فإن « السيد المسيح إذ أراد أن يؤسس البتولية فى قلب الكنيسة حفظها فى جسد أمه مريم » .

والمسلم به إيمانياً أن هناك علاقة ما بين طلب الاقتراب من الله وحالة البتولية المكرمة . بل أن اعتقادى الراسخ أن مجىء ربنا يسوع المسيح بتولاً من عذراء بتول هو اعلان لكنيسة العهد الجديد أن الزواج لم يعد هو الطريقة الوحيدة للإنجاب والتناسل بل صار لكل بتول — ينحل من الكل ليرتبط بالبتول الوحيد لأمه البتول — قدرة على الإنجاب لا من دم ولا من زرع بشر بل من كلمة الله وشهادة الإنجيل ليصبح له من البنين أكثر صلاحا « لأنه مكتوب : افرحى أيتها (النفس) العاقر التى لم تلد . اهتفى واصرخى أيتها التى لم تتمخضى فان أولاد الموحشة أكثر من التى لها زوج » (غلا ٤ : ٢٧ + أش ٥٤ : ١) . لقد قال مار بولس البتول تلميذ البتول « ياأولادى الذين أتمخض بهم إلى أن يتصور

المسيح فيهم ... » ، « لانى أنا ولدتكم فى المسيح » (غلا ٤:١٩، ١كو ٤:١٥) .

أن الزواج قد صار عمل أثرى دخل إلى المتحف بمجىء ربنا يسوع المسيح البتول إبن البتول ... **إلى أكرم الزواج كسر إلهى ، وكوزنة أعطيت لى شخصيا رغم إشتياق إلى البتولية ، وكموهبة يمنحها الرب ، بكهنوته الذى قنى لمئات من الناس كل عام ... وأعرف أيضا أن المتزوج المخلص لله النقى القلب أفضل من الراهب غير المخلص لله وغير النقى قلبه .**

مع إيمانى بذلك ، لكنى كما قلت لك أن الإقتراب من الله يرتبط بحالة البتولية المكرمة .

وأسوق لذلك أمثلة من الكتاب المقدس لكى يكون الرأى لله وكلمة شهادتة ... **فموسى النبى** بعد هربه من بيت فرعون وجلوسه على بئر مديان ومساعدته لبنات كاهن مديان « يثرون » ليستقوا وأغنامهم ... بعد ذلك تزوج من « صفورة » الكوشية .. وعاشرها كزوجة وأنجب منها إبنان جرشوم (أى النزيل فى أرض غريبة) وألبعازر (أى إله عونى) ... وبعد ظهور الرب لموسى فى العليقة ودعوته للتلمذة فى الجبل أربعون سنه كاملة انفصل موسى عن حمية يثرون وزوجته وإبنيه وصار فى طقس البتولية حتى سن الثمانين من عمره ! . وبعد قيادة موسى لشعب بنى اسرائيل وخروجه من أرض مصر عرف بذلك كاهن مديان فأخذ زوجة موسى وابنيها بعد انفصالهما عن موسى أربعين عاما وأتى

بهم مهتماً موسى بعمل الله فيه : بتوليته ، واخراج الشعب من البحر الأحمر .. أتظن بعد من الثمانين سنة ومع أعباء رعاية شعب غليظ الرقبة وعناء السنون فى البرية يعاشر زوجته ؟ ! ! (ان شئت راجع خر ١٦:٢ ــ ٢٢، ١:١٨ ــ١٢ ، ١٣ ــ ١٥) . والتقليد القبطى الكنسى يحوى قصة لطيفة عن صفورة زوجة موسى التى انفصل عنها بسبب دعوة الرب والتصاقه به ، والتى اختبرت كأى امرأة حرمانها من زوجها ... أنها سمعت أن روح الرب حل على الداد وميداد (أن شئت راجع عدد ٢٦:١١) صرخت قائلة « ياحزن زوجتى هذين الرجلين ! ! » لأن مفهومها عن الإلتصاق بالرب سيتبعه الانفصال عنهما . (الستكسار) .

هناك مثال ثانٍ لذات المبدأ .. هو مثل سادتى الأباء الرسل الاطهار الذين دعاهم الرب فلم نسمع إلا هذه العبارة « تركوا كل شىء وتبعوه » (لو ٥:١١) . وكلمة « كل » كان من ضمنها زوجاتهم ... والدليل على ذلك قول مار بطرس الرسول لسيدنا « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ » . فكان رد مخلصنا يحوى بوضوح أن من بين ما تركوا تركوا زوجاتهم والعيشة الزوجية بكل أركانها إذ قال لهم « الحق أقول لكم : أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس إبن الانسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط اسرائيل الإثنى عشر ... كل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل إسمى يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية » (مت ١٩:٢٧ ــ ٢٩،

مر ١٠:٢٩ ــ ٣٠، لو ١٨:٢٨ ــ ٣٠) . ودليل ثانٍ هو قول مار بولس الرسول « ألعل ليس لنا سلطان أن نجول بأختٍ زوجة كباقى الرسل وأخوة الرب وصفا » (١كو ٩:٥) ، وكلمة « اخت » توضح تحول الزوجة فى حياة سادتى الآباء الرسل إلى أخت ترافقهم فى الخدمة ...

لست أعلم لماذا بدأت أمثلة الكتاب المقدس من المتزوجين وهناك فى العهد القديم من البتوليين إيليا النبى من الرجال ، ومريم أخت موسى من النساء (خر ١٥:٢٠) . وفى العهد الجديد يوحنا السابق الصابغ ، ويوحنا إبن زبدى التلميذ الذى كان يحبه الرب ، وبنات فيلبس المبشر العذارى الأربعة اللائى حفظن بتوليتهن للرب فنالوا موهبة النبوة (راجع أع ٢١:٨،٩)

بل أعتقد **أن منظر أى راهب أو راهبة أو شماس انجيلى بتول أو عذراء بتول فى الكنيسة الآن هو شهادة صامتة وحية عن الحياة فى ملكوت السموات التى ننتظرها** والتى قال الرب عنها « أما بنو هذا الدهر فيتزوجون ويتزوجن ، فأما الذين استحقوا ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يتزوجون ولا يتزوجن **لأنهم لا يستطيعون أن يموتوا أيضا ، لأنهم مثل الملائكة ، وهم بنو الله ، إذ هم بنو القيامة** » ! وقال أيضاً له كل المجد : « لأنهم فى **القيامة** لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون **كملائكة الله فى السماء** » ! (راجع لو ٢٠:٣٤ ــ ٣٦، مت ٢٢:٣٠ على التوالى) .

وكلام سيدنا يوضح أن النموذج البتولى نموذج للحياة الملائكيه ، وللحياة الابدية المنتظرة فى الدهر الآتى ، واعلان صادق للبنوة لله ... وربما من هذا الفهم قال الآباء عن الرهبان أنهم بشر سمائيون أو ملائكة أرضيون !

ياحبيبى ، أهنئك بالبتولية التى منحك الرب شرفها ...
أهنئك بالرهبنة التى منحك الرب الارتباط بجهادها ..

فلتكن فرحاً ببتوليتك التى وضعتها للرب على مذبح الرهبانية المقدسة ، ولا تكن كبنت يفتاح الجلعادى التى كانت تنوح على عذراويتها لأنها ستموت قبل معرفة الزواج والامومة . (ان شئت راجع قض ١١ : ٣٨) .

كن فرحاً وباشاً ، لا فى ظاهرك بل فى عمق باطنك ، كل أيام رهبانيتك بالرب الذى منحك البتولية المقدسة وتم بذلك قوله « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام . **بل الذى أعطى لهم** لانه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » (مت ١٩ : ١٠ ــ ١٢) نعم : أفرح بهذه العطية الإلهية من يد الرب ...

افرح ، لأننى أرى ابليس يحاول مع كثيرين من البتوليين والمكرسين أن ينزع فرحهم بالعريس منهم ... فيبدون بكآبة تنفّر حتى من الله لأنهم صورة له فى وسط العالم ، وبدمامة تجعل ابليس ينجح فى تخويف

الراغبين فى تبعية الرب لأنهم يرون السابقين فى غم وكدر ! !

نعم : أقول افرح عن عقيدة ، وبنعمة الرب سأوضح لك لماذا تكون فرحان فرح دائم فى الظل الآن حتى تأخذ الفرح الحقيقى فى الحقيقة عينها هناك ...

افرح لأنك لم ترتبط بامرأة من جنس البشر ، بل ارتبطت بالعريس الإلهى مشتهى القديسين ... الذى يراه أشعياء النبى فينادى كل نفس أخذت البتولية طريقا للملكوت قائلا : « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد ... أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن ... **بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس اسرائيل إله كل الارض يدعى !** » (أش ٥٤ : ١ ، ٥) .

افرح بالحقيقة لأنك لم ترتبط ببشر ، بل صرت فى رباط زيجى مع عريس يشتهى من الكل !

افرح بهذا ، وافرح أيضا لأنك ارتبطت بحالة السعادة الحقة ، أما أسعد حالة زواج يسمع عنها فى الأرض فلا تخلو من آلام كثيرة .. حتى اللحظات التى تسمى لحظات السعادة فى لذة المعاشرة الزوجية تنتهى ليبقى بعدها حالة انحلال حقيقى فى الجسد الذى من تكرار ذلك تذهب قوته وتضيع نضرته ، لعل لذلك قال مار بولس البتول عن العذارى الذين يتزوجوا « وان تزوجت العذراء لم تخطىء ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق الجسد ! » (راجع ١كو ٧ : ٢٥ ــ ٢٩) .

ناهيك عن أتعاب المشاركة فى الزواج ، فالبتول حر فى إرادته : يأكل وينام ويلبس بحريته .. أما المتزوج فهو مرتبط فى كل شىء ، وارتباط الحرية بآخر يحرم الانسان ثلاث أرباع حريته على الأقل !

وبينما يشبع كلا من الزوجين شريكه بأمان فى اسعاد الآخر نجد أن احتمال رحيل أحدهما قائم فى الفكر والوجدان ، فالزواج يجعل كل منهما نصف يكمل بالآخر وينقص برحيل الآخر ... أما البتولية فتحفظ للإنسان وحدته الكاملة !

وفى الزواج ينتظر الآباء مجىء الأبناء ، وفى سبيل ذلك كم يعانى الزوجين أتعاب الحمل ، وأتعاب الولادة ، وأتعاب التربية ، وأتعاب النضج . وان لم يعطى الآباء أبناء فكم يشكل ذلك فى أكثر النفوس نضجاً وتعقلا أنيناً داخلياً لا يوصف ؟ ! !

وفى الزواج كم يعانى أحد الطرفين من غيرة الطرف الآخر ، وفى محاولة للتكيف يفسر ذلك بأنه محبة زائدة ، مع أن المحبة من هذا الداء براء !

وفى الزواج كم يرتبك الإنسان باحتياجاته المادية : فى تأثيث بيت الزوجية ، وفى استمرار تأدية البيت رسالته ، وفى تلبية إحتياجات أفراده ... ومن أجل ذلك كم تكون المعاناة ؟ !

فى الزواج كم نسمع عن نكران الجميل وعن خيانات ، ولتبريرها يقال أن صانعيها ناقصين فى الشبع العاطفى والحنان والإحتياج الجنسى ؟ ! !

فى الزواج كم تعجبنا من زوج يرحل فترمل زوجته فى سن مبكرة ، أو زوجه ترحل فيترمل زوجها فى ريعان شبابه .. وهذا وتلك قد يتركون وراءهم صوراً من أطفال وشباب يحتاجون إلى رعاية الأبوة أو عطاء الامومة أشد الاحتياج وندخل بهم على سبيل الشفقة فى سلسلة من الخطوات التى لن تزيد هؤلاء الاطفال والشباب إلا جوعاً وحرماناً !

من هذا وغيره قد عتقك الرب ياحبيبى ، وباركك وأعطاك هبة البتولية السعيدة .

افرح بعريسك المحبوب دوماً ، وبعطيته لك ..

افرح لأن الرب قد وجد فيك السبت ليستريح ، لكنه ينتظرك أن تقدم سبت السبوت ! ..

نعم : أنك دخلت القدس ، مبارك لك ذلك .. ولكن لا يوجد مجد الرب إلا فى قدس الأقداس !

قد أعطيت نعمة لتنشد للرب نشيد البتوليين (راجع رؤ ١٤ : ١ ــ ٥) ، لكن العروس والعريس مكانهما دائما نشيد الأناشيد !

† † †

لذلك فالبتولية والرهبنة ليست فرحاً وكلاماً ، إنما جهاداً وضعت قدميك على أول الطريق فيه ..

على رأى القديس مقاريوس الكبير « ان البعض يتصورون أنهم صاروا قديسين بسبب امتناعهم عن الزواج وعن بعض أمور أخرى منظورة . ولكن الأمر ليس كذلك ، فان الخطية لا تزال تعيش وترفع رأسها فى العقل والقلب . أما القديس فهو ذاك الذى يتنقى ويتقدس فى انسانه الباطن » (عظة ١٧ ــ فقرة ١٣) .

لقد قلت لك أفرح ، لان الفرحان يعمل العمل المطلوب منه برغبة ، والرغبة لا تجعل أمامه مستحيلاً .. بل تولد فيه طاقة الجهاد عن هواية وانسجام !

أن الفرح بعريسك وعطيته تدخلنا إلى الجهاد الكبير الذى ينتظرك كعقيدة أيضا !

أن بتولية العينين : للنظر إلى الملكوت ، وإلى الشر ببساطة ، وإلى الخير بحكمة ، وللتمعن فى كلام الرب وأقوال الآباء .. **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** .

وبتولية **الفم** : للحديث مع الرب باللسان الواعى ، ولإتقان التسبيح كلغة للسمائيين ، ولكلام البنيان ، ولكلام التشجيع والتشديد ، ولحفظ كلام الرب وترديده ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ...

وبتولية **الأذن** : لتسمع صوت الرب وتميزه ، وسمع استغاثة الضعفاء ، وسمع مشورة الآباء ، ولتغلق عن سماع العثرة والأخبار العالمية التى تبعثر النفس من سكونها .. **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ..

وبتولية **اليدين** : لكى ترتفعا مثالاً للصليب إناء الليل فى الصلاة ، وتنحفضا لتحمل عن الآخرين أثقالهم ، وتكتب للناس حياة لا حقابات دردشة ، وتحمل لكل الأخوة الخدمة والعطاء لا سيما الشيوخ والمرضى ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ..

وبتولية القدمين : للسير على دروب الآباء لا بهوى الإنسان ، وللسير بإستقامة لا باعوجاج وخبث ، واختيار أقصر الطرق للوصول إلى الهدف بنقاوة ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ...

وبتولية **الركبتين** : لتقديم ذبيحة المسكنة والتذلل فى السجود بالروح ، ولتقديم القوة المتزنة لحمل الجسد للقيام بأعباء الجهاد دون تذليل ودون تجبر ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ...

وبتولية **الجسد** : للصوم المتزن لا عن الطعام فقط بل وعن شغب الحس والزنا وعن الأفكار الساقطة ، وللوقار فى الصحو والرقاد والمشى والوقوف والجلوس ، وللحشمة والتأديب فى الإعتذار أو اعلان المشاعر ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ...

وبتولية **النفس** : لكى تظل فى هدوء لا تعرف قلق أو اضطراب لشىء أو خوف شىء ولا الموت نفسه عدا موت الخطية وحدها ، ولتظل شبعانة بحبيبها وعريسها ولا تلهث وراء كرامة أو درجة أو رتبة حتى ولو كانت كهنوتية ، ولتظل رقيقة تحمل الرحمة أينما طلبت حتى ولو كانت مع الحيوان غير العاقل ، ولتظل شفافة لا تحجب عنها رؤية حبيبها

وملكوته بدخان حريق شهوات العالم الزائلة ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ...

وبتولية **العقل** : لكى يخدم الإيمان ويقود للطاعة حتى لما يصور أنه غير معقول وغير مستطاع ، ولكى يكون صادق فى وزن ما للانسان وما عليه ، ولكى يكون متسعاً لا يضيق بنقد أو ذم أو حتى عداوة ، ولكى يكون قوياً على تذكر إحسانات الرب ونسيان قساوة الناس ، ولكى يكون متجدداً يحمل الجديد فى المواقف حينما يستحكم الجمود والجديد من الأفكار النورانية حينما تستبد الافكار المظلمة ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ...

وبتولية **القلب** : (أى الضمير والعواطف) لكى يظل للعريس وحده ، ولعروس العريس وحدها ، ولكى لا يدخل إليه ندم على ما يصوره لنا القتال أنه مفقود ، ولكى يظل تابعاً للرب وحده حتى ولو تتلمذنا على أصدقاءه ، ولكى لا يدخل إليه حنين للناس والأسرة والأبوين إلا ما كان حنيناً روحياً خالصاً لا حناناً جسدياً ناقصاً ... **ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً** ...

وبتولية **الروح** : التى لا نملكها وبسبب انحطاط شهواتنا تتدنس بكوريتها فتثقل بخمار وسكر وشبع الجسد .. والتى تحتاج إلى تغذية تفوق تغذية أجسادنا أو على الأقل تساويها ... والتى تحتاج إلى ريش من التوبة بالدموع السخية والتنهد الملآن رجاء لكى تحمل الجسد بضعفه

إلى المبادىء الفوقية العلوية دوما ... **هذا الإحتياج لا يسده الكلام إنما الجهاد** .

إن وجودك فى الدير مع أنه بقعة من الأرض إنما هو عربون فعلى وحى للوجود فى الملكوت ، وأسوار الدير وان كانت من حجارة أنما هى إعلان حى لأسوار أورشليم السمائية والقلاية التى منحك أنبا أنطونيوس إياها وان كانت من طين أرضى إنما هى نموذج حقيقى للمنزل السمائى الذى وعد الرب به أب الرهبان وتلاميذه ... لذلك كم قلت للأم أنسطاسية فى اليوم السابق مباشرة لدخولها الدير أقول لحضرتك « **قل للقلاية : أنت أبى وأمى ، أخى وأختى ، ضبطى وحريتى ، تنهدى وفرحى ، قبرى وعرشى !** » ... **قل للقلاية هذا الكلام وأثبت ياأخى فيها ، وداخل أسوار ديرك ، فقد علمنا الآباء « الذى لا يثبت فى موضعه لا يستطيع الثمر البته »** . أثبت فى طقسك ، بطاعة لمرشدك فى المسيح حتى ولو إلى حد الموت .. فخير للمقاتل أن يستشهد فى الميدان من أن يتنعم فى خيانة عدم الثبات فى الموضع . وأحب أن تتمثل بأبونا المتنيح القديس يسطس الأنطونى الذى ثبت فى موضعه من يوم دخوله للدير وحتى رحيله للمجد ، مُخضعاً نفسه لكلمة ربنا على لسان مار بولس الرسول البتول « **الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليلبث فيها** » (١كو ٧: ٢٠) وعلى لسان مار بطرس الرسول المتزوج أيضا « لذلك **أجتهدوا** أيها الاخوة أن تجعلوا **دعوتكم واختياركم ثابتين لأنكم أن فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً** لأنه هكذا **يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا** ومخلصنا يسوع المسيح الابدى » (٢بط ١: ١٠ ،

١١) . لاحظ هنا قول مار بطرس « اجتهدوا » . فالثبات فى الدعوة والموضع كم يستلزم كل جهاد ؟ ! !

وعندما نجد صوت الكنيسة يناديك للخدمة والنزول مرة أخرى فلا تنسى قول سيدنا للآباء الرسل وخلفائهم من بعدهم « من يسمع منكم يسمع منى » (لو ١٠ : ١٦) .. وسيكون أمر شاق بعد أن تتدرب على الثبات فى القلاية وسكون الدير أن تسكن العالم من جديد وتحتفظ بجهادات بتوليتك وآداب السلوك الرهبانى ... وهذا جهاد كبير أيضا ...

كذلك فان آداب السلوك البتولى والرهبانى أو التكريسى بصفة عامة ليست قيوداً نئن من الإلتزام بها أو تحرمنا احساسنا بفرحنا وحريتنا مع العريس السمائى ... إنما هى ضمانات أساسية لبلوغ الملكوت تعاون من يفهم هدفنا ، وتقدس من يسلك بها ، وتكمل نقص لابد أن يوجد فى نفوسنا . كما أنها خبرة صافية قدمها آباء أكرموا الرب حتى الموت توفر علينا مشقة الإرتجال وخطر السير مع كل ريح والإنقياد وراء هوى النفس والناس . وبذلك هى تمنحنا وقوداً لإشعال قلوبنا بحب من أحبنا وأضرامه بنار الإماته كل يوم للذى مات لاجلنا ... وهذا كله جهاد ...

لا أريد أن تصدم من جراء كلمة « جهاد » التى تعمدت تكرارها ... إنما أريد كما فرح قلب المسيح والانبا أنطونيوس وقلبى بتوليتك ... **أريد باسم ربنا يسوع المسيح والانبا أنطونيوس أن تحفظ**

بتوليتك كل أيام رهبانيتك بجهاد وسهر وتعب تليق بمقاتل روحى دخل إلى حلبة الحرب الروحية الدائرة من حولنا جميعا وإذ هى غير مرئية فهى أشد قسوة من الحرب المرئية .. وتزداد حدتها ليس عندنا فى المدن والضجيج إنما فى سكون الجبل وهدوء الرمال التى تحمل حياتها صرخات مدوية لليقظة ضد عدو لا يعرف النوم ، والحرص من عدو يتقن المباغتة ، والهروب من عدو لا بد أن الهجوم ، والتواضع الذى لسيدنا يسوع المسيح المتواضع الحقيقى وحده لنقدمه للذى يمنحنا إياه داخلنا لنعطيه للناس الصالحين والاشرار حتى للشياطين أيضا !

لتعلم ياأخى أنك دخلت بفرح البتولية إلى جهاد لن ينتهى الا بسكون الجسد فى الطاقوس وراحة الروح فى حضن مخلصنا الصالح .

دخلت إلى بدء الطريق ... الطريق الطويل ... الطويل ... الطويل جداً . والضيق والمعزى معاً ، والكرب والمفرح معاً ، لأنه طريق الصليب والاكليل معاً ! ... فى هذا الطريق الطويل ستنتقل من جهاد إلى آخر ... فجهادك الخاص المرتب بمشورة مرشدك مع عمل المجمع وخدمة الآباء بداية تقود إلى جهاد الثبات فى القلاية وعمل سكون الأيام كبدايه أخرى لسكون الأسابيع الذى يفتح باب الجهاد لتلمذة الوحدة داخل الدير كبداية راحة لتلمذة الوحدة خارج الدير بعض الوقت وهذا يقود إلى بداية جهاد خارج الدير كل الوقت ... وهكذا تقضى العمر كله فى طريق طويل أشكال الجهاد فيه متنوعة ...

ولعلك تشهد فى أعماقك كم أحبتك فى المسيح ...

ولكن الله الذى خلق فينا كل شيء جعل كل عواطف النفس صالحة ، وعاطفة الحب التي فينا لم تخلف منها كثيرا ...

فالحب يحتاج إلى فهم وتنظيم على رأى العلامة أوريجينوس ... لاننا نحب أولاً ما كان ينبغى أن يأتى ثانياً أو ثالثاً ، وما نجعله فى ترتيب محبتنا ثان أو ثالث كان ينبغى أن يأتى أولا ...

لقد طالبنا الرب أن نعطيه هو أولا « كل القلب ، وكل النفس ، وكل القدرة » ثم نعطى حب للآباء والأخوة والأبناء والخدم بنظام .

ولكن ان أحببنا الناس قبل الله أفليس ذلك انحراف فى الحب ؟ !

عاطفة الحب تزدهر فينا عندما نحب الحكمة والحق الإلهيين ... وتنحرف فينا عندما نجعلنا نحب اللحم والدم .

حتى الحب الزيجى وضعه الرب بضابط ... المتزوجون يحبون اللحم والدم بينما الإنجيل يوصى الرجال « أحبوا نساءكم **كما أحب المسيح الكنيسة** » (كو ٣:١٩) والمسيح أحب الكنيسة حباً روحياً خالصاً تأسس على حكمة أسراره الإلهية السبعة وحق الانجيل المسلم بالدم المسفوك شفاهاً وكتابة ! !

وبينما الرب يأمرنا بمحبة القريب مثل نفوسنا (مت ٢٢:٣٧ — ٣٩) فإنه لم يطلب منا ذلك بالنسبة للأعداء بل قال فقط « أحبوا أعداءكم » أى يكفى أن نتمنى الخير ونصنعه لاجلهم دون أن نكرههم ...

ان الرب الذى هو الحب يعلمنا النظام حتى فى الحب ...

كتبت اليك هذا كله لتعرف أن محبتى لك ، كما تعرف للجميع ، أصلى أن تكون روحية تعاونك على جهادك لا تعطلك ... فاعذرنى إن لم أكتب لك خطابات عاطفية أو أخبار من العالم أعرف تماما أنها تحول الراهب إلى دوامات تشبه التى تتكون من جراء إلقاء حجر فى مياه ساكنة هادئة وأعذرنى أيضا ان كنت آتى الدير آخذ بركة من أنبا أنطونيوس والآباء دون أن أطلب رؤياك ما لم تطلب أنت ذلك ... على رأى القديس مار اسحق أسقف نينوى « إن النظر إلى العلمانيين وحده قد يؤذى المتوحد ، ليس النساء فقط بل والرجال أيضا » لكننى مستعد لأى خطاب تعزية ، يفرح قلب المسيح وقلبينا ، كما أنى مستعد لأى عمل محبة تأمرنى به لا يعيق جهادك ولا يعطل سعيك ... ولا تنسى أن ذلك يمثل جهاد لى أنا أيضا ...

فليعيننى الرب واياك لنجاهد حسناً وقانونياً ، وليجعل الرب بتوليتك وجهادك بركة لضعفى وانحلالى وبركة للكنيسة والرهبنة ...

أعانك الرب وضعفى إلى ما دعانا اليه ، ووفقنا للملكوت كما وفق قديسيه وأبراره بشفاعة أمنا العذراء مريم وبركة أبينا أنبا انطونيوس ... أذكر ضعفى دائما فى صلاتك ، وأوصى الآباء إن يصلوا عن مريض ضال مع أنه يحمل كهنوت المسيح . أذكر جهادى دائماً فى صلاتك ، فقد لمست عن قرب خطورة ما أنا فيه ، وأخطر الخطورة أن أحرم من المسيح والملكوت بسبب العمل الرهيب والدم المؤتمن عليه ...

أذكر أسرتى دائما فى صلاتك ، لتكون بركة للكنيسة وأكون أنا بركة لها ومعاوناً لها للسماء ...

أذكر الكنيسة والخدمة وأخوتك جميعا ، فقد لمست احتياجها لخدام أمناء يحملون الإنجيل ويستودعونه بأمانة للأجيال الآتية من بعدنا .

فاذكرنى ياأخى ومسئولياتى ، كما أنى لا أنساك قدام مذبح الله .

أول نسىء ١٦٩٤
١٩٧٨/٩/٦

القمص يوسف أسعد

الحياة الصالحة
أيام معدودات
أما الإسم الصالح
فيدوم إلى الأبد
(سيراخ ٤١ : ١٦)

نشرنا رسالة أبونا إلى الأب الراهب ،
ووجدنا رسالة من نفس الأب الراهب ردا
عليها ننشرها أيضا :

أبى الحبيب الغالى .....

بعد تقبيل أياديكم الطاهرة .. ، وطلب صالح دعواتكم . لا أستحق ... لا أستحق أن تعيرنى كل هذا الاهتمام ياأبى ... فما أنا إلاحقير خرج يطلب وجه الرب .

عندما تغمرنى بحبك ... أخجل لأنى أتذكر ذلك الحب الإلهى الذى ليس له مثيل وأنا لا أقدم نظيره شيئاً ... حتى الوصية أكسرها بإرادتى ... فياويلى وشقائى ... إلى متى يرتفع عدوى إلى ؟ أكتب بتنهد هذا لكى تذكر ضعفى أمام الله ... أشكر قداستكم جزيل الشكر على ذلك الخطاب المعزى فى حينه . ولكنى أردت أن أتحدث مع قداستكم فى بعض أقواله حتى تعرف وتثق من عدم استحقاقى لذلك الحب الزائد من الينبوع الفائض الذى لقداستكم ...

تقول قدسك أن اخبار العالم تحول الراهب إلى دوامات تشبه التى تتكون من جراء القاء حجر فى مياه ساكنة هادئة . حقيقة ياأبى هذا الكلام لا غش فيه أبداً ، لكنه بالنسبة للراهب ، أما حقارتى فحتى الآن لم أترهب ... فما أنا إلا خادم فى الدير يحاول أن يأخذ بركة الآباء وصلواتهم ... وهذا الخادم « ضعفى » يلتقى بالعلمانيين وأحاديثهم يوميا عشرات المرات ...

أمر ثان قداستك فى آخر الخطاب كتبت « ياأخى » كيف تقول هذا ياأبى ؟ أنسيت ذلك الانسان الذى ربيته بنفسك فى المسيح يسوع .. ان كنت بتواضعك قبلت هذا لكن ضعفى لا يقبل .. فلست مستحقا لهذا اللقب فضعفى ابن لقداستكم على الدوام .

برجاء مزيد من تلك الخطابات ، وياليت قداستكم ترسل لى مثل هذا الخطاب كل شهر لكى أتعزى بكلمات الرب الخارجة من فمكم رقيقة مريحة معزية شافية لكل كلوم نفسى ..

.....

أقدم لقداستكم شكرى ومحبتى لأجل تعب محبتكم المتواصل يباركككم الرب من قدسه ويعينكم فى خدمتكم وجهادكم من أجل كلمته بشفاعة أمى العذراء مريم والانبا أنطونيوس وكل مصاف شهداءه وقديسية .

صلى لاجلى ياأبى أمام ربنا يسوع المسيح ،

١٩٧٨/٩/١٤

٤ توت ١٦٩٥

ابنكم الضعيف

.....

دعانا قداسة أبينا القمص يوسف أسعد لترتيب مكتبته ، وفي أثناء ذلك وجدنا هذه الرسالة وغيرها ، في دوسيه خاص ، نشرها بالتوالي بعد استئذان وموافقة قداسته .

أسرة السكرتارية
بكنيسة السيدة العذراء
بالعمرانية

تطلب من
مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرانية
ت : ٨٥٠٣٧٨